

من زرع التشدد.. حصد التطرف

كتب: عبد الكريم السيد عبداللطيف الغربلي

دأبت مجموعة من الكتاب السلفيين على الهجوم بمناسبة وبدون مناسبة على المتصوفين من خلال اختزالهم غير المنصف - للتصوف بالخزعبلات والصور المبالغ فيها من ناحية... ورفضهم مناظرة ومناقشة علماء التصوف من ناحية أخرى! مما جعل طرحهم يفتقد للمصداقية... بل ويتسم بالتضليل... والبعد عن الأسلوب العلمي والطرح الموضوعي... حتى كادت كلمة التصوف تدرج تحت قائمة القذح!!! وكأنهم يحاكون بعض المستشرقين الذين يصفون المسلمون بأنهم يعبدون صندوقاً من الحجر الأسود... «يقصدون الكعبة الشريفة»!!!

فهل يعقل نفس كل علوم وفضل المتصوفين في نشر الدين بصورته الحضارية في أصقاع العالم دون دليل أو بمقال متطرف بعيد عن المواجهة؟! ولو سألت أو حاورت أحد هؤلاء المستكثبين ماذا تعرف عن التصوف؟ لأجابك بكل ما هو سلبي وبصورة مشوهة غير منصفة مثل: الشرك... عبادة القبور... الذبح لغير الله... الأناشيد... الاحتفال بالمولد...!!! فهل من الإنصاف مثلاً اختزال تعريف أو وصف الفكر الوهابي أو الحركة السلفية ببعض الآراء والمواقف والسلوكيات الصارخة التي بدرت منهم أو انبثقت عنهم؟! كمثل اعتراضهم على أذان الفجر الأول... أو فعل الخليفة الفاروق سيدنا عمر بن الخطاب عندما جمع المسلمين في صلاة التراويح بواحد وعشرين ركعة وإصرارهم على ثماني ركعات وكأنهم أفقه من أهل مكة والمدينة... أو إنكار كروية الأرض... أو وصول الإنسان إلى القمر... أو الحركات المتطرفة التي انبثقت عنهم مثل جماعة جهيمان... وبن لادن... أو الاستعجال في نعت المسلمين بمن فيهم بعض العلماء بالشرك... مثل ما حدث مع الشيخ البوصيري وذلك لأنه قال في قصيدته العظيمة «البردة» مخاطباً الرسول الكريم: «يا سيد الخلق مالي من ألؤذ به... سواك عند حلول الحادث العمم»، علماً بأنه ورد بالاحاديث الصحيحة أن الناس يوم القيامة يتدافعون إلى الأنبياء عليهم السلام ليشفعوا لهم، فيدفعهم الأنبياء إلى رسول الله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فيتقدم فيقال له (اشفع تشفع وسل تعطه) رواه أغلب أهل الحديث عن عدد الصحابة، فهل يكون البوصيري الفقيه مشركاً بقوله إنه ليس له من يلؤذ به يوم القيامة إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم؟! فهذا حكم باطل بالشرك على عالم مسلم! ويواصل أصحاب هذا الفكر الحاد النسق نفسه بالتطاول على العلماء عندما هوجم بالأمس القريب فضيلة الشيخ الجليل الحبيب علي الجفري، والشيخ المخلص حمد سنان، واليوم الشيخ العم السيد يوسف الرفاعي... بل ان حتى إذاعة القرآن الكريم - عندما ابتعدت عن الطرح المتطرف - لم تنج من التهجم شأنها شأن حملة الوسطية المباركة التي بالتأكيد لا تتفق مع التطرف.

كما حفل هذا التوجه المتطرف ببعض الشطحات الأخرى التي رُصدت ووُثقت من قبل الباحثين... اقتبس منها هذا التعليق... وبالله عليكم هل تبنون عقيدتكم على احاديث الكذابين والوضاعين، والضعفاء والمتروكين، والمجهولين، بل وروايات ليس لها أصل في كتب الحديث، وتتركون المحكم من كلام رب العالمين والثابت الشهير من كلام سيد المرسلين!! نعم بالإمكان ملء الصفحات الكثر بالصحف ولكن من المستفيد؟! ولماذا والمسلمون في حالة من الضعف والهوان والتخلف تصدر أولوياتهم هذه الموضوعات التي تفرق ولا تجمع؟! ومتى نرتقي الى مسؤولياتنا ونندمج في عصرنا محافظين على ديننا بدنيا العلم والتسامح.. وان نترك بحث هذه الأمور للعلماء - ليس كل من حمل درجة الدكتوراه بالضرورة عالم أو فقيه - يتحاورن بجو من الألفة والمحبة وحب الخير للآخرين والجدال بالتي هي أحسن.. بعيداً عن الشحناء والتوتر والفجور بالخصومة.

وهكذا فان التصوف والوهابية ومشتقاتها من السلفية وغيرها شأنهم شأن التوجهات الاسلامية الأخرى.. لم تتج من الدس والوضع ما ينافي جوهره وعرضه وأصوله وفروعه... كما ان النقد مباح - بل مطلوب - لمن يملك العلم وأدوات النقد وركي الطرح... فلإمام مالك - رحمه الله - قولته المأثورة: (كل يؤخذ منه ويرد عليه إلا صاحب هذا القبر) يعني سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم... ولكن ما يضيق به الصدر ويكدر خاطر هو جنوح أسلوب النقد وتعمد الردح وعدم التورع عن الجراح والفاحش من الكلم... والفجور بالخصومة...

فللحوار آداب وأسلوب وأهداف قال سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «إن الدين النصيحة إن الدين النصيحة إن الدين النصيحة قالوا لمن يارسول الله قال لله وكتابه ورسوله وأمة المؤمنين وعامتهم»، وحتى تحقق النصيحة أهدافها والمراد منها لا بد من ان تبذل بأسلوب نبيل وراق يتفق مع المقصد... خصوصا عندما يبتغى من النصيحة وجه الله سبحانه وتعالى، وليس بقصد «الفضيحة» كما يعتقد او يتمنى المتطرفون... قال سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «من ستر عورة أخيه المسلم ستر الله عورته ومن كشف عورة أخيه المسلم كشف الله عورته حتى يفضحه بها في بيته». وهذا ما نهانا عنه ديننا الحنيف الذي أمرنا بالدعوة «بالحكمة والموعظة الحسنة»، قال عز وجل (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين)، وان يكون الجدل بالتي هي أحسن هذا التوجيه للكافة بمن فيهم غير المسلمين... كما وصف عز وجل العلاقة بين المسلمين «بالرحمة» فقال عز وجل (رحماء بينهم).

ومن غير المقبول في الوقت الذي تقام المخيمات السلفية في الكويت وتتم استضافة اصحاب الفكر المتطرف من الخارج والذي لا يتفق مع توجه وزارة الأوقاف وسياسة الدولة!!! ان ينصب هؤلاء المتطرفون أنفسهم قيمين على جمهور المسلمين فيسعون لتحريض الجهات الرسمية ضد كل من لا يتفقون مع شيخهم... فلنكن عبيداً «للخالق».. بعيداً عن سيطرة «المخلوق»... ونحن نطلب من المسؤولين مواصلة دعوة كافة العلماء المسلمين للحوار وإلقاء المحاضرات وليس

السلفيين وحدهم و«الجمهور» يستطيع ان يميز بين الغث والسمين وان يحكم من هو على علم ومن هو في ضلال مبين... دون ان ينصب احد نفسه قيماً على عقل احد... وعلى الكتاب السلفيين «وشيخهم» الكف عن ممارسة الإرهاب الفكري ضد علماء أفاضل يتهربون من مواجهة الحوار معهم... ويكتفون بالتمترس بمقالات او كتيبات تنضح بأحادية الفكر وإلغاء الآخرين... وفي الختام هل لنا ان نعرف هل المذهب الرسمي للدولة مالكي أم سلفي متطرف مستورد؟

تاريخ النشر: السبت 2007/2/24

<http://www.alwatan.com.kw/Default.aspx?MgDid=472424&pageId=79>